



تجمع فناني و مبدعي سوريا من أجل الحرية



18 نوفمبر 2012 •

"أبو مرشد"

رزان زيتونة، الاحد 18 تشرين الثاني 2012

في بداية الثورة اعتُقل الابن البكر لأبو مرشد. أرسلوا له مرسالاً أنّ ولده سيُقتل إن لم يستلم نفسه. وهو بدوره ردّ على الرسالة بمثلها: "على حسابكم.. بكرة بوضي على غيره!"

هذه الحادثة أصبحت محل تنذر الأصحاب والأصدقاء لشهور طويلة لاحقة. تنذر بالتأكيد وليس استياء. أبو مرشد لا يمت للقسوة بأية صلة. فوجئت بأن أراه يوماً بُعيد استشهاده أحد أصدقائه المقربين، وقد تغير لون وجهه بطريقة غريبة وكانت ملامحه وكأنها تنوح. وددت لو أحتة على البكاء فعلا، لكن لم أجرؤ.

منذ أسابيع قليلة استضافنا أبو مرشد في مدينته حرسا. كانت ساعات حافلة باللقاءات والأحاديث والضحك والمناكفة.. وتعلّم التمييز بين أصوات القصص المدفعي ووقف المروحيات ومضاد الطيران... لم يكن هناك أي مجال لأحاديث خاصة، من باب كيف الحال، كسؤال حقيقي وليس مجاملة. حتى وهو يتحدث ويتحرك يبدو شارد الذهن ومشغول البال بأمرٍ أخرى.

فجأة استدار أبو مرشد ومن غير مناسبة أو مقدمات، وقال إنه لا يعلم كيف يمكن أن يعود إلى حياته الطبيعية بعد الثورة.. لم ينتظر إجابتي ولم أكن لأملك إجابة أصلاً. ووسرعان ما عدنا إلى الأحاديث المعتادة التي لا مكان فيها لحياة أحدنا الخاصة.

أبو مرشد كان ناشطاً سياسياً قبل الثورة، ضمن أحد الأحزاب المعارضة. لديه مهنة وعائلة وحياة هادئة، إلا من المنغصات الأمنية المعتادة. فيما بعد أصبح أحد أشد المطلوبين في المدينة. فقد معظم أصدقائه، بعضهم أمام عينيه وعلى بعد أمتار منه.

حتى مدينته فقدت ملامحها. خلال الأيام الماضية دُكَّت حُرستاً بالصواريخ والقنابل كما لم يحصل من قبل. كَثُرَ نشاهد مقاطع الفيديو غير مصدّقين أن هذا الركاب هو ما كان قائماً أبنيه وطرقات. التصديق لا علاقة له بالاعتیاد على رؤية الركاب يومياً. هذه دهشة لا تتوقف.

لا أستغرب أنه فكّر في تلك اللحظات كم سيكون من الصعب على من سيكتب له أن يبقى حياً، أن يعيش ذلك المستقبل. لا شيء سيعود كما كان. أشياء كثيرة بطبيعة الحال لا نرغب أن تعود كما كانت، ولا حتى أن تكون قريبة منها.. لكن أشياء كثيرة جداً لن نتصالح أبداً مع فقدانها. ولن ندرك كم تغيرنا وبأي اتجاه حتى نضطر لمواجهة ما سيسمى حينها "حياة طبيعية".

استشهد الشاب مرشد محمود مدلل قبل أيام، الابن البكر لـ"أبو مرشد"، الابن نفسه الذي سبق واعتقل عدة مرات رهينة عن والده ولاحقاً لنشاطه. كان ناشطاً إعلامياً في تنسيقية حرسنا، واختارته إحدى القذائف التي طالما صور تساقطها فوق مدينته.

أنا أيضًا لا أعلم كيف سيعود أبو مرشد إلى حياته الطبيعية" بعد سقوط النظام، لا هو ولا غيره من السوريين. من ضحايا الثمانينات إلى ضحايا الزمن الحالي. كمّ مذهل من الآلام سيحدّق في مستقبلنا بلا هواده لأجيال عديدة.

الرحمة لروحك يا مرشد، والصبر لذويك..

رابط المقال:

<http://www.nowlebanon.com/Arabic/NewsArticles/Details.aspx?ArticleID=709>

3 عرض أقل

